البنـــاء
السنة السابعة / الثلاثاء / 11 آب 2015 / العدد 1854
Seventh year / Tuesday / 11 August 2015 / Issue No. 1854

غنّت «أحبّ البلاد» على خشبة «أوبرا دمشق» آسرةً الحضور بشدوها الصدّاح

فايا يونان... الياسمينة المتمرّدة على الوجع

آمنة ملحم

كسوسنة بزغت في ربوع وطنها الجريح، ملامسةً الجِراح الغائرة لدى كلّ سوريّ، عزفت فايا يونان على أوتار الشجن، فاهتزّ لفظ الشام في خلدها وخلد كل من خطفت أنظارهم من بعيد من بلاد الاغتراب، فسارع ليحتضن صوتها في دار الأوبرا في دمشق، فارتعشت مآقي سامعيها حزناً على بلاد باغتتها الحرب، وعلى شباب يستشهدون بفعل آلة قتل جهنمية، وعلى أحلام كلّ سوريّ صارت مكسورة الخاطر، كطفلة لم تتلقّ هدية العيد!

كياسمينة دمشقية عصيّة على الوجع، وقفت فايا يونان، الصبيّة الأصيلة ذات السنوات الـ22 على خشبة مسرح دار الأوبـرا مساء أول من أمس، معتبرةً أنّ أعظم ما يمكنها تحقيقه اليوم، وجودها في بلدها سورية، في قلب العاصمة الأبية. وقالت كلمات قليلة، لكنّها كانت كفيلة بإيصال ما يختلج في قلب الصبيّة، ومما قالته: «أقف في بلدي وبين أهلي... ولا يمكنني أن أعبّر باللغة والكلمات عن فرحي لوجودي بينكم... نغنّي على أمل أن يعمّ السلام كل أنحاء سورية الحبيبة».

فايا لم تعطِ فرحتها لأحد، وكل رجائها أن توفّق على مدارِ يومين في رسم بسمة أمل، من قلب الوجع الذي تعيشه سورية، ليبقى الغد واعداً بعودة السلام وانتشاره في كافة أرجاء وطنها الحبيب.

تمايلت فايا برقصات لطيفة على المسرح، ونثرت عبير عفويتها وبساطتها التي لم تستطع الأضواء سرقتها منها، فراحت تتنقل بعفوية واضحة الملامح. لم يحرجها أن تلتقط بنفسها النوتة الموسيقية التي وقعت أرضاً أمام المايسترو... كما لم يمنعها الحضور الكثيف، من شرب الماء على المسرح لتبقى محافظة على عذوبة صوتها الذي أطرب فأحسن لا بل أبدع.

تلك هي فايا يونان، التي تركت المهجر وراء ظهرها، وعادت إلى جذورها ملبّيةً دعوة جمعية «نحن» الثقافية، ضمن مبادرة تشجيع المواهب السورية الشابة المغتربة للعودة إلى الوطن الأمّ سورية.

استحضرت فايا على مدار ساعة ونصف الساعة، أصداء فيروز وزكي ناصيف وجوليا بطرس وماجدة الرومي وأميمة الخليل، بأدائها باقة من أروع أغانيهم. كما استحضرت الشام وحلب أرض أجدادها، عندما تمايلت على الغصن موجّهة لهم التحية كما لأهالي كافة المحافظات السورية، ليكون للوطن الرصيد الأهم من حفلتها.

كما قدّمت فايا أغنيتها الخاصة «أحبّ يديك» من كلمات الشاعر اللبناني مهدي منصور، والألحان لريّان الهبر، فأطربت بها الحضور المكتظّ الذي لم تشهده «دار الأوبرا» منذ زمن، وفي مطلعها تقول:

وأنا أحبّك
كي ندوس على المدافع
وتضيق بالأطفال
ساحات الشوارع

ثمّ كانت مفاجأة فايا، عبر أغنية «نحبّ البلاد» التي حُضّرت خصّيصاً لهذا اليوم، ولهذه الوقفة على أرض الوطن. وهي من كلمات الشاعر التونسي الصغير ولد أحمد، والألحان لمهند نصر. غرّدت فايا في مطلعها :

نحبّ البلاد كما لا يحب البلاد أحد
صباح... مساء
وقبل الصباح وبعد المساء.. ويوم الأحد
ولو قتلونا كما قتلونا
ولو شرّدونا كما شرّدونا
لعُدنا... لعُدنا غزاة لهذا البلد
وصاح الشهيد... وصاح الشهيد
سلام سلام على من صمد

بتلك الكلمات، وبصوتها الشجيّ الذي نثر آلام الوطن والشهادة أمام الحضور، حظيت فايا بتصفيق الحضور الكثيف الذي تقدّمه وزير الثقافة عصام خليل، تصفيقٌ علا صوته ليصل إلى عنانِ السماء، مترافقاً بالهتاف لحياة سورية، معانقاً أرواح الشهداء ودموع الثكالى، لتختم فايا حفلها بنشيد «موطني»، مؤكدة رفعة وطنها، وأنه على رغم الحرب، وعلى رغم كلّ ما حيك لسوريانا من مؤامرات، ستبقى الحياة من سورية ومع سورية ولسورية.

في نهاية الحفل، تسلّمت فايا درعاً تكريمية قدّمها لها رامي جلبوط رئيس جمعية «نحن» الثقافية، والذي أكّد لـ«البناء» أن هذه الحفلة مع فايا كانت الانطلاقة لمبادرة عودة المواهب إلى الوطن، وهي مبادرة غايتها إتاحة الفرصة للسوريين الموجودين في الخارج، من أصحاب المواهب الثقافية، ليكونوا معنا على أرض الوطن، من أجل إعادة الحراك الثقافي السوري إلى الحياة، والمساهمة في إعادة بناء الوطن.

ولفت جلبوط إلى أنّ الجمعية عملت على مدار سنتين، على دعم المواهب السورية في الداخل، ليتجه تفكيرها نحو المواهب خارج البلاد، وإعطائهم فرصتهم في الحضور إلى الوطن.

وأعرب جلبوط عن سعادته الكبيرة إزاء الإقبال الكبير الذي شهده حفل فايا يونان، كونه يؤكد أن الشعب السوري، وعلى رغم الحرب التي يعيشها، ما زال قادراً على تذوّق الفن الأصيل، والاستمتاع به. وأنه لن يبتعد عن هذا الجوّ الثقافي الجميل .وأشار إلى التفكير الجدّيّ لإقامة حفلات جديدة لفايا، بعد الإقبال الذي شهدته حفلة اليوم.

رافقت فايا يونان في الحفل فرقة موسيقية بقيادة المايسترو نزار عمران، وكان في الكورال كل من: جورجينا عيد، علا محفوظ، طوني مبيّض، وسامر جبر، الذين آزروا فايا فأبدعوا.

وبهذا الحفل، تكون فايا قد حصدت استقبال حضورها الأول على أرض وطنها بعد عيشها في السويد منذ طفولتها. ومن هنا، تكون انطلاقتها في أحضان الوطن بعد نجاحها في إيصال رسالتها الوطنية الصادقة، عبر مقطع أطلقته على «يوتيوب» السنة الماضية برفقة شقيقتها الزميلة الإعلامية ريحـان، وعنوان المقطع «لبلادي»، وحصد أكثر من مليونَي متابِع.

مهرجان «المنار» العاشر للتفوّق

تكرّم «قناة المنار» ضمن «مهرجان المنار العاشر للتفوّق»، الأوائل في الشهادتين المتوسّطة، والثانوية بكلّ فروعها، بحضور متميّزين في مجالات العلم والفكر والثقافة والفنّ، وذلكفي حفل يُبثّ مباشرة على الهواء من القاعة الكبرى في قصر الأونيسكو، تمام التاسعة من مساء اليوم الثلاثاء.

يحمل المهرجان اسم الإعلاميّ الراحل عرفات حجازي تقديراً لمسيرته المهنية، ويقدّم الحفل الإعلاميّ عماد مرمل، ومهدي غدّار، ويخرجه خليل القلا وحسن كحيل.

الرؤية الجمالية

صلاح بو سريف*

على رغم حبّي لسقراط، الذي كان يخرج حافي القدمين، ويحاور الشبّان في أثينا، أو يسعى بالأحرى، إلى إثارة الشك في نفوسهم، في ما يعتقدونه ناجزاً، أو كلياً ونهائياً، فأنا أميل في ما يتعلق بالصيرورة وانتقال الأفكار أو تحوّلها، إلى بروتاغوراس، وإلى السفسطائيين الذين كان سقراط لا يحبّهم، ومعه أفلاطون أيضاً، خصوصاً في ما يتعلق بإيهام الجمهور وخداعه، أو بما كانوا يتّسمون به من قدرة كبيرة على قلب الحقائق وتحريفها، أو بقول الشيء ونقيضه في الوقت نفسه، وتبريرهما معاً، أمام الشخص ذاته، وكأنه مشلول الفكر والإرادة في إدراك فرق المسافة بين حجّتين ورأيين.

فبروتاغوراس، هو بين من انتبهوا إلى أن «الإنسان هو مقياس كل شيء»، وأن أي اختلاف في رؤيتنا للأشياء، هو اختلاف يعود إلى نظرتنا، وإلى طريقة النظر، أو الزاوية التي منها ننظر إلى هذا الشيء أو ذاك. ما يعني، عند بروتاغوراس، أن الثابت والمطلق لا معنى لهما، أو هما، حتما، يصبحان غير مفيدين، وغير جديرين بالاهتمام. وهذا ما يجعل من مفاهيم مثل العدالة والحق والخير، وحتى الجمال، مصدرها الإنسان، والإنسان، بالتالي، هو من يعطي كلّ مفهوم منهما فهمه له، وطريقة نظره إليه، أو الطريقة التي بها يحدد مفهومه لهذه المفاهيم جميعها، وغيرها من المفاهيم التي يمكن أن تطرأ في المجتمع، في علاقة الإنسان بالطبيعة وبالكون.

أكد بروتاغوراس، في هذا السياق، بشكل خاص، على مسألتي الاتفاق والمواضعة، في ما يرجع لهذه المفاهيم، وغيرها، بما في ذلك، ما ندخله نحن اليوم، ضمن ما نعتبره قيماً، أو ما يدخل في القيم. وهذا في اعتقادي، نوع من التفكير المتقدم، الذي نحتاجه في إعادة الأمور إلى طبيعتها، أي باعتبار الإنسان، وهو ينظر ويفكر ويتأمل، هو من يخلق القيم، ويخلق المفاهيم ويبتكرها، وهو من يؤسس هذه المفاهيم ويملأها بما تحتاجه من طاقة، كما أنه هو أيضاً، من يعود لإفراغها من المعنى القديم، ليضعها في سياق التحولات التي تجري في زمنه وفي بيئته، وفي مجريات الأفكار الطارئة التي تحدث في هذا الزمن، أو في هذه البيئة. فلاشيء في مثل هذا الفكر المتصير، يبقى على حاله، أو يسكن في الماء نفسه، لأن البرك الآسنة تتعفن، وتسكنها الجراثيم والطفيليات، بعكس الماء المتحرك المتموج، الذي لا يهدأ، لأنه حي بما فيه من قلق، وكأن الريح تحته بتعبير المتنبي.

السفسطائيون، كانوا، هم أيضاً، أكثر جرأةً من سقراط وأفلاطون، ليس في قلب الحقائق والمعطيات، بل في التأكيد على مبدأ الصيرورة، وعلى الماء المتموج للأشياء، وما تحفل به من قلق. فبقدر ما كان سقراط وأفلاطون يحرصان على بقاء الأشياء نفسها، خصوصاً في الفن، وما فيه من قواعد ومقاييس ثابتة، كان السفسطائيون، لا يعبأون بهذا التثبيت الديني والأخلاقي للأشياء، خصوصاً في رؤية أفلاطون المثالية، التي كانت تربط كل شيء بالمنفعة، وتعتبر اللذة، أو المتعة، وتذوق الأشياء الجميلة، زائلين، ولا طائل من ورائهما، وهما ليسا هدف الفن والجمال عموماً.

أليس أفلاطون من هاجم الشعراء، واعتبرهم مفسدين في «الجمهورية»، كما سيفعل القرآن بعده!؟ ثم أليس أفلاطون هو من أدان هومير، كما أدان هسيود أيضاً، وانتقدهما، أو انتقد ما اعتبره «مبادئ فاسدة»، في شعريهما، وأصرّ على ضرورة مراقبة الشعراء «فنوجب عليهم أن يطبعوا منظوماتهم بطابع الخلق الحميد إلا الذين آمنوا»، وإلا فلا ينظموا، أو نوسع نطاق مراقبتنا فتشمل أساتذة كل فن، فنحظر عليهم أن يطبعوا أعمالهم بطابع الوهن والسفالة والسماجة»!؟

في هذا النوع من الفكر، الذي أعطى فيه أفلاطون للفيلسوف دور العقل المنظم والموجه، وفق منظوره للفلسفة، طبعاً، لم ينتبه أن تثبيت الفكر، وتثبيت الفن والجمال، إنما هو قتل لهما، وخروج بهما عن السياق الإبداعي، الذي يقوم على الإضافة، وعلى الاختلاف والتنوع. فما ذهب إليه بروتاغوراس، كان تصعيداً ضد هذا الثتبيت، وضد تحويل الإنسان إلى آلة، أو إلى فيلسوف يقيم في مدينة، الشعر فيها، هو الكلاّم نفسه الذي يستعيده الشاعر، بالقواعد نفسها، وبالمقاييس والعبارات نفسيهما، أو ب»الخلق الحميد» نفسه.

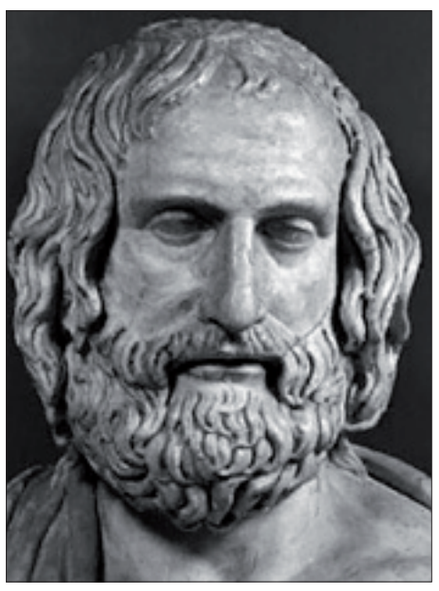

بروتاغوراس

وأود هنا أن أعود إلى مقدمة ترجمة «محاورتي ثياتيتوس وفايدروس، أو عن العلم والجمال» الصادرة عن «دار التنوير» 2014، لما لها من أهمية في الإشارة إلى دور الفكر والجمال المتحولين، في بناء «الجمهورية»، لا بالمعنى الأفلاطوني، الديني، أو العقائدي الأخلاقي، ولكن بمعنى الجرأة في التغيير، وفي اختلاق المعاني والدلالات، خصوصاً في الفن والجمال.

يوريبدس، مثلاً، لم تعد عنده التراجيديا، تتأسس على المعتقدات والأسس الأخلاقية، فهو أكد في التراجيديا على انفعالات البشر، وعلى التأثيرات النفسية الواقعة عليهم، وما يحفل به الواقع من مشاكل ومحن. بمعنى أن يوريبدس، خرج من معنى إلى آخر، ومن قاعدة أو قانون، إلى اختلاق جديد مغاير وغير متوقع. وهو ما فعله براسيوس، ولازوكسيس في التصوير، مثل الخدع البصرية، والتلاعب بالضوء والظلال، وهما من اكتشف قواعد المنظور. براكستيل في النحت، فعل الشيء نفسه، فهو اهتم بتفاصيل وجزئيات الجسم الإنساني، خصوصاً جسم المرأة. كما أن سكوباس، حرص في منحوتاته على إبراز العواطف والانفعالات التي تتبدى على وجه الإنسان. وفي سياق هذا الجو العام الذي لم يكن خاضعاً، لحسن الحظ لتأثير الفكر التثبيتي، مهما تكن عظمة صاحبه أو مكانته، ستتحرر الموسيقى أيضاً من طابعها القديم الذي ارتبط بالرقص الديني، كما أن ثيموثيوس الملطي، لم تعد تسعفه أوتار القيثارة التي سيزيد فيها، أي سيعمل، ليس على تغيير الوتر، بل على تغيير الصوت والنغم، ما عرضه لغضب مجلس الشيوخ، خصوصاً في ما يتعلق بإخراجه الأصوات التي صور بها الأصوات التي صدرت عن سيميلي وهي تضع الإله ديونيزوس.

هذه المعطيات التاريخية، هي في جوهرها أحداث ذات أهمية كبيرة، لأنها تتعلق بالفن، وبالجمال، كما أنها تمس الفكر، وتمس الإنسان، وتكشف الدور الكبير الذي يلعبه الإنسان في الخلق والابتكار. لا يعني هذا أن سقراط أبعد الإنسان من فكره، ولا أفلاطون، وحتى الدين نفسه، إذا ما تقدمنا إلى الأمام، بعض الشيء، لكن، حين يصبح الإنسان رهينةً في يد الغيب، أو أسير معتقدات راسخة، ويتم إفراغه من العقل ومن الخيال، أو من الجمال، بالأحرى، فهذا معناه أن الإنسان هو صدًى، وهو آلة لتنفيذ أحكام، لا رأي ولا نظر له فيها، والوعي الجمالي، والتربية الجمالية، وإدارك الجمال في صيرورته، وفي ابتكاراته، هو ما يمكنه أن يعود بالإنسان إلى طبيعته القائمة على الإضافة، لا على التكرار والاجترار، وسيادة الإنسان على نفسه.

اليوم، أصبح من ضرورات المجتمعات المعاصرة، أن يكون الإنسان في قلبها، أو هو من يديرها، وليدير الإنسان هذه المجتمعات، ينبغي أن ينتبه إلى الطابع الذرائعي والاستهلاكي للفن، وأن تكون المدرسة والإعلام في قلب هذا النوع من الوعي الجمالي المبني على إرادة الإنسان، لا إرادة الآلة، أو الإله. فالصناعات المعاصرة، من مثل صناعات السيارات، بالأشكال الانسيابية المغرية والمثيرة، وشاشات التلفزيون، والهواتف المحمولة والألواح الإلكترونية، وغيرها من الصناعات، وملفوفات السلع والبضائع، تستفيد من الفنون بصورة كبيرة، ليس لإثارة الوعي بالفن، أو تقديراً لعمل الفنانين الكبار، بل لتسليع الفن، لأن مقتني السيارة أو اللوح الإلكتروني، لا يهتم بالخلفية الجمالية للمادة التي يستعملها، وبما تختزنه من طاقات تخييلية باهرة وعظيمة، بقدر ما يكتفي بالسطح وبالقشرة، وبالتالي فهو يكون خارج الوعي الجمالي الذي هو وحده ما يمكنه أن يجعل هذا الإنسان يستفيد من هذه الصناعات والتقنيات، ويستعملها في سياق هذا الوعي، وفي سياق أن الإنسان هو أصل كل شيء، لا أن نستبدل الغيب بالآلة، ونتحول من آلهة المثال، إلى آلهة المادة والاستهلاك.

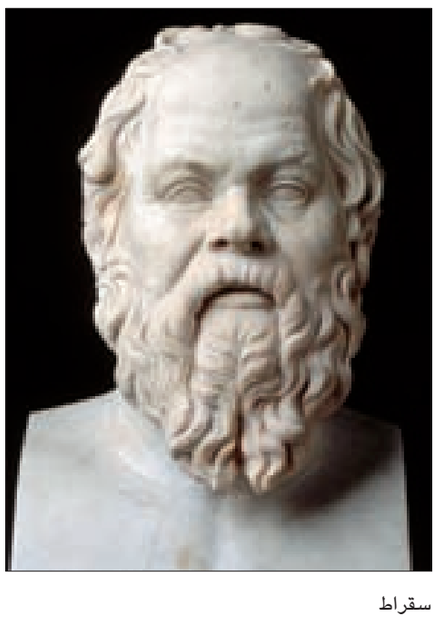

سقراط

*كاتب مغربي

«منمنمات لبنانية»... معرضاً تشكيلياً لفريال الصايغ

لمى نوّام

فريال الصايغ، فنانة تشكيلية من مواليد بلدة صوفر اللبنانية التي تتميّز بجمال طبيعتها وطيبة أهلها. في هذه البيئة، نشأت فريال وتأثّرت بكلّ ما يحيط بها من جمالات، فالتقطت عيناها من هذا المحيط غناه وروعته. وكانت طريقتها في التعبير من خلال الريشة والألوان.

أفكارها جريئة إلى حدّ ما من أجل خدمة فكرتها وإيصال رسالتها إلى المتلقّي، تسعى جاهدةً إلى تطوير نفسها من خلال التعلّم والاطّلاع على كلّ ما له علاقة باللون والريشة. وهنا، بدأت رحلة الاحتراف على رغم أنها لا تحدّد هذه الكلمة ولا تعتقد أنّها تنطبق عليها. فهي تعتبر أنّ الفنان متى بقي هاوياً، فإنّ عطاءه يكون أعمق وأصدق.

«منمنمات لبنانية»، هو عنوان معرض فريال الصايغ التشكيليّ الأول، الذي افتتحته أول من أمس الإثنين، برعاية الروائية اللبنانية إميلي نصر الله وحضورها، وذلك التعاون مع «منتدى الثقافة والفن والأدب» في القاعة الزجاجية في وزارة السياحة، والذي يستمرّ لغاية 15 آب.

«البناء» التقت الصايغ، التي أدلت بتصريح جاء فيه: لأن البدايات دائماً تكون خجولة، اعتمدت على الموهبة البحتة والهواية، ومع كل لوحة تُنجز، كانت رغبتي تزداد في التعمّق أكثر في هذا الفنّ الجميل ألا وهو الرسم. لم ألتزم بنوع معيّن من الرسم، على رغم تأثري بمدارس فنيّة كثيرة. لذلك أرسم كل ما أحسّه وأحبّه، من دون أن أضع نفسي في إطار محدّد. وهكذا، لا أقع في التكرار، وأبقى حرّة من كل قيد.

وتضيف الصايغ: معرضي «منمنمات لبنانية» يضمّ 37 لوحة من الأكريليك على قماش من قياسات مختلفة، حسبما تستدعي الفكرة ويتطلّب المشهد. وهي «لبنانية»، لأنها صوَر لمشاهد طبيعية من القرى اللبنانية قروية. أما «منمنمات»، فنظراً إلى تفاصيل صغيرة ركّزت عليها لأهميتها.

وتتابع الصايغ: لوحاتي تضمّ جلسات قروية و«صبحيات». أولاد يلعبون ورجال يمارسون أعمالهم اليومية. كما أضأت على بعض المهن كـ«القشّاش» والمُزارع والمنجّد، ونشاطات ربات البيوت من الخبز المرقوق إلى «تسطيح التين».

استغرق تحضير هذا المعرض سنة تقريباً، والهدف منه العودة إلى الجذور والتراث وبساطة العيش، والألفة بين الأهل، والحبّ بين الناس، والتمسّك بما بقي من عادات وتقاليد في قرانا اللبنانية.

فريال الصايغ حائزة على جوائز فنيّة عدّة في مسابقات الرسم عندما كانت على مقاعد الدراسة، كما كانت لها نشاطات فرديّة متفرّقة، وصولاً إلى مشاركات كثيرة في معارض لبنانية ودولية منها: معرض درج الفنّ 2005، معرض صوفر الأوّل 2005، معرض الباروك 2005، معرض حمّانا 2006، معرض عاليه 2007، معرض صوفر الثالث 2009، معرض «brave hart» لدعم مرضى القلب في المركز الثقافي الروسي، سمبوزيوم الرملة البيضاء لمناسبة عيد الجيش 2014، معرض درج الفنّ (عاليه) 2014، معرض الأمّهات العرب في وزاره السياحة، سمبوزيوم رأس المتن 2014، معرض صوفر الرابع 2014، سمبوزيوم زيقين في ذكرى التحرير 2015، سمبوزيوم النبطية 2015، معرض «ألوان» الدولي الأول في الأونيسكو 2015، ومعرض الفنّ التشكيليّ الخامس (عاليه) 2015.